مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف
محمد أحمد برانق



١١

موسى والسحرة

تصدرها
دار المعارف

مجموعة قصص الأنبياء

(١١)

بإشراف
محمد أحمد برانق

موسى عم والسحرة

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

عَادَ مُوسَى إِلَى مِصْرَ بِأَمْرِ اللهِ رَسُولًا إِلَى فِرْعَوْنَ الَّذِى طَغَى وَبَغَى ، وَجَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ إِلٰهًا عَلَى شَعْبِهَا ، وَرَبًّا لِأَهْلِهَا ، وَسَامَ بَنِى إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ بِهَا أَشَدَّ الِاضْطِهَادِ ، وَأَنْكَى الْعَذَابِ . وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ أَمْضَى حِقْبَةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَنِ بِأَرْضِ مَدْيَنَ الَّتِى خَرَجَ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ هَارِبًا عَلَى أَثَرِ وَكْزِهِ لِأَحَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَكْزَةً أَفْضَتْ بِهِ إِلَى الْمَوْتِ . وَسَارَ مُوسَى بِزَوْجَتِهِ وَوَلَدَيْهِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِى الْحَىِّ الَّذِى كَانَ فِيهِ دَارُ أَبَوَيْهِ . وَبَعْدَ أَنْ هَيَّأَ لَهُمْ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ ، وَمَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ — ذَهَبَ إِلَى دَارِ أَبِيهِ وَجَلَسَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا يَتَرَقَّبُ مَا عَسَى أَنْ يَرَى مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ طَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الْفِرَاقُ .

وَرَأَتْ يُوكَابِدُ مُوسَى ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ عَنْ مِصْرَ ، فَدَعَتْهُ إِلَى طَعَامٍ مِنَ الْمَرَقِ كَانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهُ لِوَلَدِهَا هٰرُونَ ، فَقَبِلَ مُوسَى دَعْوَةَ أُمِّهِ الَّتِى عَرَفَهَا دُونَ أَنْ تَعْرِفَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَلْبُهَا قَدْ شَعَرَ نَحْوَهُ بِالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ مِنْ وَقْتِ أَنْ وَقَعَ

نَظَرُهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَمْضِ إِلَّا الْقَلِيلُ حَتَّى حَضَرَ هَرُونُ ، فَمَا إِنْ رَأَى مُوسَى حَتَّى سَأَلَ أُمَّهُ عَنْهُ : مَنْ هٰذَا يَا أُمَّاهُ ؟ !

قَالَتْ : رَجُلٌ غَرِيبٌ ، اخْتَارَ جِوَارَنَا فَرَأَيتُ أَنْ أَدْعُوَهُ .

فَرَحَّبَ هَرُونُ بِمُوسَى ، وَجَلَسَا عَلَى الطَّعَامِ يَأْكُلَانِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ : مَنْ أَنتَ ؟ ! وَمِنْ أَيْنَ أَتَيتَ يَا صَاحِبِي ؟ !

وَنَظَرَ مُوسَى إِلَى أَخِيهِ ثُمَّ إِلَى أُمِّهِ وَقَالَ : أَنَا مُوسَى !

وَأَسْرَعَتْ دَقَّاتُ قَلْبِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا دَهْشَةً تَنْظُرُ إِلَى الِابْنِ الَّذِى طَالَ غِيَابُهُ حَتَّى ظَنَّتْ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ ! وَلٰكِنَّهُ قَدْ عَادَ حَقًّا إِلَيْهَا ، وَأَرَاهَا اللهُ ابْنَهَا قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ ، وَفَتَحَتِ الْأُمُّ ذِرَاعَيْهَا لِتَتَلَقَّى بَيْنَهُمَا ابْنَهَا الَّذِى رَدَّهُ اللهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنِ افْتَرَقَ عَنْهَا وَهُوَ طِفْلٌ رَضِيعٌ ! ثُمَّ رَدَّهُ الْآنَ إِلَيْهَا وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ..!! وَتَلَقَّى هَرُونُ أَخَاهُ بِفَرَحٍ لَا يَقِلُّ عَنْ فَرَحِ أُمِّهِ ، وَشَوْقٍ لَا يَقِلُّ عَنْ شَوْقِهَا! ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعاً يَتَحَدَّثُونَ : يَرْوِى كُلٌّ مَا كَانَ وَمَا حَدَثَ فِى هٰذِهِ السِّنِينَ الطَّوِيلَةِ ! وَتَحَدَّثَ مُوسَى بِأَعْظَمِ خَبَرٍ ، وَزَفَّ إِلَى أَهْلِهِ أَكْبَرَ نَبَأٍ : فَقَصَّ عَلَى أُمِّهِ وَأَخِيهِ اخْتِيَارَ اللهِ لَهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَاخْتِيَارَ أَخِيهِ هَرُونَ مُبَلِّغًا

وَوَزِيرًا ، وَبَعْثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا .

يَا لَجَلَالِ اللهِ . . ! لَقَدْ تَحَقَّقَ لِيُوكَابِدَ مَا وَعَدَهَا اللهُ بِهِ مُنْذُ سِنِينَ بَعِيدَةٍ! وَبَعَثَ اللهُ وَلَدَهَا مُوسَى نَبِيًّا وَرَسُولًا. وَفَرِحَتْ بِمَا أَسْبَغَهُ اللهُ عَلَى وَلَدَيْهَا ، وَلٰكِنَّهَا حَزِنَتْ وَقَلِقَتْ لِبَعْثِهِمَا إِلَى فِرْعَوْنِ مِصْرَ الطَّاغِيَةِ الْمُسْتَبِدِّ وَأَفْضَتِ الْأُمُّ إِلَى وَلَدَيْهَا بِقَلَقِهَا وَخَوْفِهَا مِنْ أَنْ يَنَالَهُمَا فِرْعَوْنُ بِسُوءٍ ، وَلٰكِنَّ الْأَخَوَيْنِ مَا كَانَ لَهُمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا عَمَّا بَعَثَهُمَا اللهُ إِلَيْهِ فَطَمْأَنَاهَا وَطَيَّبَا خَاطِرَهَا .

وَأَوْحَى اللهُ لِمُوسَى وَهٰرُونَ أَنِ : اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ؛ وَلَا تُغْلِظَا لَهُ فِي الْقَوْلِ حَتَّى لَا يَثُورَ ، وَتَأْخُذَهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، وَتَدْفَعَهُ الْحَمَاقَةُ إِلَى إِيذَائِكُمَا .

وَقَالَ الرَّسُولَانِ لِرَبِّهِمَا : رَبَّنَا ؛ إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا فَيَسْتَعْجِلَ عِقَابَنَا قَبْلَ أَنْ يَتَنَبَّهَ لِلصَّوَابِ ، وَيَصْحُوَ لِلْحَقِّ الَّذِي نَدْعُوهُ إِلَيْهِ ؛ وَقَبْلَ أَنْ نُقَدِّمَ لَهُ الْمُعْجِزَةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِنَا ؛ وَأَنْ يَطْغَى فَيَنْسُبَ إِلَيْكَ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ .

فَقَالَ اللهُ : لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى مَا يَجْرِي

بَيْنَكُما وَبَيْنَهُ، وَسَأَصْرِفُ شَرَّهُ عَنْكُمَا، وَأَحْفَظُكُمَا مِنْ بَطْشِهِ.

وَأَمَرَ اللهُ مُوسَى وَهٰرُونَ أَنْ يَطْلُبَا مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً لِيُخْرِجَاهُمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى حَيْثُ يَعْبُدُونَ اللهَ بَعِيدًا عَنِ الِاضْطِهَادِ وَالذُّلِّ وَالْعَذَابِ.

وَاسْتَأْذَنَ مُوسَى وَهٰرُونُ فِي الدُّخُولِ لَدَى فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ تَكَلَّمَ مُوسَى، وَبَيَّنَ هٰرُونُ عَنْ مُوسَى مَالَمْ يَفْهَمْهُ مِنْهُ فِرْعَوْنُ، وَسَأَلَهُمَا فِرْعَوْنُ عَنْ غَرَضِهِمَا، وَعَمَّا يَبْغِيَانِ مِنْهُ، وَمَا يَطْلُبَانِ عِنْدَهُ، فَقَالَ مُوسَى:

إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَأَنْعِمْ عَلَيْنَا وَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ، وَنَكُونُ لَكَ شَاكِرِينَ. وَسَخِرَ فِرْعَوْنُ مِنْ قَوْلِ مُوسَى وَقَالَ: أَلَمْ نُرَبِّكَ بَيْنَنَا صَغِيرًا، وَلَبِثْتَ مَعَنَا سِنِينَ طَوِيلَةً. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ؟!

قَالَ مُوسَى: فَعَلْتُهَا وَأَنَا مُخْطِئٌ ضَالٌّ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

فَسَأَلَهُ فِرْعَوْنُ: فَمَنْ رَبُّكَ يَا مُوسَى؟! مَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!

قَالَ مُوسَى: رَبُّنَا الَّذِي خَلَقَنَا وَهَدَانَا، وَجَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ

مُمَهَّدَةً لِنَتَّخِذَ فِيهَا مَسَالِكَ وَطُرُقاً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى، رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

فَضَحِكَ فِرْعَوْنُ مِنْ قَوْلِ مُوسَى ، وَالْتَفَتَ إِلَى أَهْلِ مَجْلِسِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ ، وَقَالَ هَازِئاً : أَلَا تَسْمَعُونَ ؟!

قَالَ مُوسَى : رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ .

فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلَهُ سَاخِراً مِنْ مُوسَى: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ .

وَاسْتَمَرَّ مُوسَى فِي تَعْرِيفِ فِرْعَوْنَ وَالْحَاضِرِينَ حَقِيقَةَ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَمَنْ هُوَ اللهُ الَّذِي تَجِبُ عِبَادَتُهُ . فَقَالَ :

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ .

وَضَاقَ فِرْعَوْنُ بِقَوْلِ مُوسَى ، وَغَضِبَ لِوَصْفِهِ هُوَ وَالْحَاضِرِينَ مَعَهُ بِقِلَّةِ الْعَقْلِ ، فَقَالَ يُهَدِّدُ مُوسَى غَاضِباً حَانِقاً :

لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ .

عِنْدَئِذٍ لَمْ يَجِدْ مُوسَى بُدًّا مِنْ أَنْ يُظْهِرَ لِفِرْعَوْنَ آيَةَ اللهِ وَبَيِّنَتَهُ الَّتِي عَرَّفَهُ اللهُ إِيَّاهَا لَعَلَّهُ يَرْعَوِي ، وَيَرْجِعُ لِلْحَقِّ !

فَقَالَ : هَلْ تُصَدِّقُنِي وَتُؤْمِنُ بِي لَوْ جِئْتُكَ بِمُعْجِزَةٍ مُبَيِّنَةٍ ؟

قَالَ : فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

فَأَلْقَى مُوسَى عَلَى الْأَرْضِ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ يَتَحَرَّكُ وَيَسْعَى أَمَامَ الْحَاضِرِينَ وَفَزِعَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ، وَتَمَلَّكَهُمُ الرُّعْبُ ، وَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفِرَارِ ، وَصَاحَ بَعْضٌ آخَرُ عَلَى مُوسَى يُنَاشِدُهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هٰذَا الثُّعْبَانِ الْمُخِيفِ .

وَوَضَعَ مُوسَى يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا أَمَامَ الْأَعْيُنِ الْمَدْهُوشَةِ الْمَبْهُوتَةِ مِنَ الرُّعْبِ وَالْفَزَعِ يَدًا بَيْضَاءَ مِثْلَ الثَّلْجِ تَشِعُّ ضِيَاءً مِثْلَ قَبَسِ النُّورِ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَى جَيْبِهِ وَأَخْرَجَهَا يَدًا آدَمِيَّةً سَمْرَاءَ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ ! ثُمَّ مَدَّ مُوسَى يَدَهُ بَيْنَ فَكَّيِ الثُّعْبَانِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي يَدِهِ عَصَاهُ ذَاتُ الشُّعْبَتَيْنِ: يَا لَلْعَجَبِ !!

كَلِمَةٌ نَطَقَ بِهَا الْحَاضِرُونَ وَهُمْ فِي رَوْعَةِ الْعَجَبِ ، وَفَوْرَةِ الدَّهْشَةِ . فَلَمَّا اسْتَرَدُّوا رَوْعَهُمْ ، وَسَكَنَتْ دَهْشَتُهُمْ ، نَفَضُوا عَنْهُمْ عَجَبَهُمْ ، وَقَاوَمُوا مَا بِهِمْ مِنْ إِجْلَالٍ وَإِعْجَابٍ ، وَعَادُوا إِلَى عِنَادِهِمْ ، وَمُكَابَرَتِهِمْ يَقُولُونَ : إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ .

وَقَالَ مُوسَى : أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ سِحْرٌ ! يَا فِرْعَوْنُ ؛ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللّٰهِ إِلَّا

الْحَق، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِى بَنِى إِسْرَائِيلَ.

وَلٰكِنَّ فِرْعَوْنَ هَزَّ رَأْسَهُ مُكَابِرًا مُسْتَنْكِرًا، وَقَالَ لِقَوْمِهِ هٰذَا السَّاحِرُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ لِيَكُونَ لَهُ وَلِقَوْمِهِ الْكِبْرِيَاءُ فِى الْأَرْضِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟

قَالُوا: أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ ، وَابْعَثْ إِلَى سَحَرَةِ مَمْلَكَتِكَ فَإِنْ أَتَوْا بِمَا أَتَى بَطَلَتْ دَعْوَاهُ وَكَذَبَتْ مُعْجِزَتُهُ .

وَانْصَرَفَ مُوسَى، وَبَقِىَ فِرْعَوْنُ فِى مَجْلِسِهِ لَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْغَضَبِ وَالْقَلَقِ لِخَشْيَتِهِ عَلَى مَكَانَتِهِ الَّتِى أَوْشَكَ أَنْ يُزَعْزِعَهَا مُوسَى، وَأُلُوهِيَّتِهِ الَّتِى أَتَى يُنْكِرُهَا عَلَيْهِ .

وَلَمْ يَمْلِكْ فِرْعَوْنُ أَنْ صَاحَ عَلَى أَصْحَابِهِ يُؤَكِّدُ لَهُمْ أُلُوهِيَّتَهُ فَيَقُولُ : يَأَيُّهَا الْمَلَأُ ؛ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِى .

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى وَزِيرِ أَشْغَالِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا هَامَانُ ؛ اصْنَعِ الطُّوبَ ، وَابْنِ لِى صَرْحًا عَالِيًا ، لَعَلِّى أَبْلُغُ السَّمٰوَاتِ ، فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى، وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فِيمَا يَدَّعِيهِ! وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ ، وَصَدَّهُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، أَنَّهُ بَالِغٌ إِلَى اللهِ ، وَلٰكِنْ مَا كَانَ كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا لِيَدُورَ عَلَيْهِ ، وَيَعُودَ إِلَيْهِ . . ! !

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

..... قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ
بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا
هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأعراف – الآيات من ١٠٦ : ١١٢]

٢

وَانْصَرَفَ مُوسَى يَجْتَمِعُ بِرُؤَسَاءِ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَشُيُوخِهِمْ ، يُطَمْئِنُهُمْ عَلَى أَنَّ اللهَ مَعَهُمْ : يَنْظُرُ إِلَى بُؤْسِهِمْ وَمَأْسَاتِهِمْ فِى مِصْرَ بِعَيْنِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَيُمَنِّيهِمْ بِأَنَّ اللهَ لَنْ يَتْرُكَهُمْ يُقَاسُونَ مَا يُقَاسُونَ مِنْ ذُلٍّ وَعُبُودِيَّةٍ ، بَلْ بَعَثَهُ رَسُولًا يَعْمَلُ عَلَى خَلَاصِهِمْ وَنَجْدَتِهِمْ . وَفَرِحَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِبُشْرَى مُوسَى ، . وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى وُعُودِهِ ، وَأَصْبَحُوا يَتَرَقَّبُونَ يَوْمَ الْخَلَاصِ وَيَحْلُمُونَ بِخُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْأَرْضِ الْمَوْعُودَةِ !

أَمَّا هَامَانُ فَقَدْ أَصْبَحَ يَسُوقُ أَبْنَاءَ إِسْرَائِيلَ لِيُسَخِّرَهُمْ فِى بِنَاءِ الصَّرْحِ الْعَالِى الَّذِى أَمَرَهُ بِبِنَائِهِ فِرْعَوْنُ لِيَصْعَدَ بِهِ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى ! ! فَخُصَّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِعَجْنِ الطِّينِ ، وَفَرِيقٌ بِخَلْطِ التِّبْنِ ، وَجُعِلَ فَرِيقٌ لِحَرْقِ الطُّوبِ ، وَفَرِيقٌ لِلْبِنَاءِ ، وَذٰلِكَ حَتَّى يَتِمَّ بِنَاءُ الصَّرْحِ سَرِيعاً ، وَيَبْلُغَ فِرْعَوْنُ الْأَسْبَابَ..!

وَأَمَّا فِرْعَوْنُ فَقَدْ بَعَثَ إِلَى عُمَّالِهِ وَجُنُودِهِ يَجْمَعُونَ لَهُ السَّحَرَةَ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ ، كَىْ يَأْتُوهُ بِمَا يَطْغَى عَلَى مَا أَتَى

بِهِ مُوسَى ، وَيُكَذِّبُ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ . . !

وَجُمِعَ السَّحَرَةُ مِنْ جِهَاتٍ شَتَّى ، وَجِيءَ بِهِمْ إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ جَمَاعَاتٍ تِلْوَ جَمَاعَاتٍ ، حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمْ رَحَبَاتُ الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا ، وَلَمْ تَتَّسِعْ لَهُمْ رَغْمَ رَحْبِهَا وَاتِّسَاعِ جَنَبَاتِهَا .

وَطَلَعَ فِرْعَوْنُ إِلَى السَّحَرَةِ ، فَأَطْلَعَهُمْ عَلَى أَمْرِهِ ، وَعَرَّفَهُمْ بِالْغَرَضِ مِنْ جَمْعِهِمْ ، وَالْإِتْيَانِ بِهِمْ . فَقَالَ لَهُ كُبَرَاؤُهُمْ :

هَلْ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ؟

قَالَ : نَعَمْ ؛ وَتَكُونُونَ مِنَ الْأَخِصَّاءِ الْمُقَرَّبِينَ .

وَفَرِحَ السَّحَرَةُ بِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِرْعَوْنُ ، وَأَظْهَرُوا اسْتِعْدَادَهُمْ لِمُوَاجَهَةِ مُوسَى ، لِيُبْطِلُوا بِقُوَّةِ سِحْرِهِمْ مَا يَدَّعِيهِ .

وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ إِلَى مُوسَى يَدْعُوهُ لِمُوَاجَهَةِ السَّحَرَةِ الَّذِينَ أَتَوْا يُظْهِرُونَ كَذِبَهُ وَيَكْشِفُونَ أَمْرَهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَحْدِيدَ مِيعَادٍ يَتَقَابَلُ وَإِيَّاهُمْ فِيهِ ، فَكَانَ جَوَابُ مُوسَى لِرَسُولِ فِرْعَوْنَ : مَوْعِدُكُمْ ضُحَى يَوْمِ الْعِيدِ !

وَفِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ أَتَى مُوسَى يَتَّكِئُ عَلَى عَصَاهُ ، وَبِصُحْبَتِهِ أَخُوهُ هَارُون — إِلَى السَّاحَةِ الَّتِي خُصِّصَتْ لِلِاجْتِمَاعِ ، فَوَجَدَ

فِرْعَوْنَ يَتَصَدَّرُ الْمَكَانَ ، وَقَدِ اصْطَفَّ مِنْ حَوْلِهِ وُزَرَاؤُهُ وَكِبَارُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ ، وَالْتَفَّ النَّاسُ حَوْلَ السَّاحَةِ حَتَّى لَمْ يَعُدْ فِي أَرْجَائِهَا مَوْضِعٌ لِقَدَمٍ ، وَحُشِرَ السَّحَرَةُ فِي جَانِبٍ مِنْهَا حَشْرًا ، حَتَّى يَتَّسِعَ مَا بَقِيَ مِنْهَا لِمَا سَوْفَ يُلْقُونَ فِيهَا مِنْ عِصِيِّهِمْ ، وَيُظْهِرُونَ مِنْ ضُرُوبِ سِحْرِهِمْ وَقَصَدَ مُوسَى مِنْ فَوْرِهِ إِلَى رُؤَسَاءِ السَّحَرَةِ وَقَالَ لَهُمْ :

وَيْلَكُمْ !! لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا ، فَينَالَكُمْ عَذَابُهُ ، فَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى

وَمَالَ السَّحَرَةُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَشَاوَرُونَ وَيَتَسَارُّونَ وَيَتَنَاجَوْنَ فِي أَمْرِ مُوسَى وَهٰرُونَ فَقَالُوا : هٰذَانِ سَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ، وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ؛ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ جَمِيعًا ، وَاتَّحِدُوا ، لِيَكُونَ النَّجَاحُ وَالنَّصْرُ لَنَا .

فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ مُسَارَّتِهِمْ وَنَجْوَاهُمْ بِشَأْنِ مُوسَى — الْتَفَتُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا : يَا مُوسَى ؛ أَتُلْقِي أَنْتَ أَوَّلًا أَمْ نُلْقِي نَحْنُ ؟

قَالَ مُوسَى : بَلْ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ

قَالُوا : بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . ثُمَّ أَلْقَوْا بِعِصِيِّهِمْ وَحِبَالِهِمْ فَخُيِّلَ لِمُوسَى وَلِلْحَاضِرِينَ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا حَيَّاتٌ

تَسْعَى ؛ وَفَرِحَ فِرْعَوْنُ ، وَامْتَلأَتْ نَفْسُهُ سُرُورًا وَابْتِهَاجًا ، وَلَمَعَتْ فِي عَيْنَيْهِ نَشْوَةُ الظَّفَرِ وَالنَّصْرِ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَّاتِ الَّتِي مَلأَتِ السَّاحَةَ بِكَثْرَتِهَا ، وَأَخَذَ يُزَاحِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى !

وَأُسْقِطَ فِي يَدِهِ ، وَاتَّجَهَ بِفِكْرِهِ وَرُوحِهِ إِلَى رَبِّهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ اللهُ فِي تَسَاؤُلِهِ وَحَيْرَتِهِ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ : لَا تَخَفْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ؛ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى .

زَالَ عَنْ مُوسَى الْخَوْفُ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَانْتَشَتْ رُوحُهُ بِوَعْدِ اللهِ لَهُ ، فَأَلْقَى عَصَاهُ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُ مَا جِئْتُمْ بِهِ مِنَ السِّحْرِ ، إِنَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ .

وَاتَّجَهَتِ الْأَنْظَارُ إِلَى عَصَا مُوسَى الَّتِي أَلْقَاهَا ، فَإِذَا هِيَ قَدْ صَارَتْ حَيَّةً كَبِيرَةً ، فَاغِرَةً فَاهَا تَلْقَمُ بِهِ مَا فِي السَّاحَةِ مِنَ الْحَيَّاتِ ، وَتَلْقَفُ بِدَاخِلِهِ مَا أَتَى بِهِ السَّحَرَةُ مِنْ سِحْرٍ . . ! !

وَاتَّسَعَتِ الْعُيُونُ دَهْشَةً ! وَفُغِرَتِ الْأَفْوَاهُ عَجَبًا ! ! وَظَلَّتِ الْأَنْظَارُ تَتْبَعُ مَا تَفْعَلُهُ حَيَّةُ مُوسَى ، حَتَّى خَلَتْ أَرْضُ السَّاحَةِ

مِنْ حَيَّاتِ السَّحَرَةِ جَمِيعِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا غَيْرُ حَيَّةِ مُوسَى !

وَشَحَبَ وَجْهُ فِرْعَوْنَ ، لَقَدْ ظَفِرَ مُوسَى وَانْتَصَرَ عَلَى السَّحَرَةِ! وَأَبْطَلَ مَا جَاءُوا بِهِ لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ ! وَذَٰلِكَ عَلَى مَرْأًى مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ جَمَعَهُمْ فِرْعَوْنُ لِيَنْظُرُوا فَشَلَهُ، وَيُعَايِنُوا خِذْلَانَهُ

ثُمَّ رَأَى فِرْعَونُ مَا هُوَ أَشَدُّ وَقْعًا عَلَى نَفْسِهِ ،وَأَبْلَغُ إِيلَامًا !!

رَأَى كِبَارَ السَّحَرَةِ يَسِيرُونَ إِلَى مُوسَى، وَيَرْكَعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ! ثُمَّ يَتْبَعُهُمُ الْبَاقُونَ سُجَّداً ! وَقَدِ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ تَتَجَاوَبُ فِي أَنْحَاءِ السَّاحَةِ ، يَقُولُونَ : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وهَارُونَ ! !

يَا لَلْهَوْلِ . . . كَلِمَةٌ تَمْتَمَتْ بِهَا شَفَتَا فِرْعَوْنَ ، إِذْ رَأَى السَّحَرَةَ الَّذِينَ أَتَى بِهِمْ لِيَنْصُرُوهُ قَدْ خَذَلُوهُ ، وَنَصَرُوا مُوسَى وَآمَنُوا بِهِ . وَصَعِدَ الدَّمُ حَارًّا إِلَى رأْسِ فِرْعَوْنَ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْفَجِرَ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ وَصَاحَ عَلَى السَّحَرَةِ يَتَّهِمُهُمْ بِمَا يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ ، وَيُهَدِّدُهُمْ بِقَوْلِهِ :

آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ؟! إِذَنْ هُوَ مَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ وَاتِّفَاقٌ اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهِ ؛ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ؛

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ..... قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ
إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾
فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ
وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأعراف – الآيات من ١١٥ : ١١٩]

وَعِزَّتِى لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ، وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ ، وَلَتَعْلَمُنَّ : أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى .

فَكَانَ جَوَابُ السَّحَرَةِ عَلَى تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ : لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَاجَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ، فَافْعَلْ مَا يَبْدُو لَكَ ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ، وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . وَجُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ لِمُحَاجَّةِ السَّحَرَةِ إِيَّاهُ ، وَجُرْأَتِهِمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِهَانَتِهِمْ بِتَهْدِيدِهِ وَكُفْرِهِمْ بِهِ ، فَصَاحَ يُنَادِى فِى الْمَلَأِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى .

وَأَمَرَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُسَاقَ السَّحَرَةُ إِلَى حَيْثُ يُنَفَّذُ فِيهِمْ حُكْمُهُ الَّذِى حَكَمَ ، وَيَصْلَوْنَ عَذَابَهُ الَّذِى تَوَعَّدَهُمْ بِهِ ! وَلَمْ يَجْزَعِ السَّحَرَةُ الْمُؤْمِنُونَ لِمَا سَيَنَالُهُمْ ، بَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ مَاجَعَلَهُمْ يَقُولُونَ : لَاضَيْرَ مِنْ ذَلِكَ !! إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ ؛ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَنُفِّذَ عَلَى عَجَلٍ فِى السَّحَرَةِ حُكْمُ فِرْعَوْنَ ، فَمَا زَادُوا عَلَى أَنْ رَفَعُوا وُجُوهَهُمْ إِلَى اللَّهِ يَبْتَهِلُونَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ :

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ؛ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ .

فَكَانَ السَّحَرَةُ فِي الصَّبَاحِ كُفَّاراً مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمَا انْتَهَى الْيَوْمُ حَتَّى كَانُوا فِي أَهْلِ النَّعِيمِ . وَتَرَكَ إِيمَانُ السَّحَرَةِ بِمُوسَى أَثَراً فِي نُفُوسِ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ إِلَّا أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ جَعَلَ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ فِي خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْهَرُوا بِرَأْيِهِمْ، وَلَا أَنْ يُبْدُوا شُعُورَهُمْ . حَتَّى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْفُسَهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْهَرَ مِنْهُمْ بِالْإِيمَانِ بِمُوسَى، وَالِانْضِمَامِ إِلَيْهِ غَيْرُ نَفَرٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالشَّبَابِ دَفَعَتْهُمْ إِلَى ذَلِكَ حَمَاسَةُ الشَّبَابِ وَحَمِيَّتُهُ.

أَمَّا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنَ الْفِرْعَوْنِيِّينَ أَنْ يُبْدِيَ إِيمَانَهُ أَوْ يَجْهَرَ بِرَأْيِهِ فَقَدْ كَانَ نَصِيبُهُ الْعَذَابَ وَالْمَوْتَ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ قَرِيبٍ وَلَا أَعَزُّ صَدِيقٍ ! وَنَالَتْ آسِيَةُ زَوْجَةُ فِرْعَوْنَ الَّتِي رَبَّتْ مُوسَى صَغِيراً ، ثُمَّ آمَنَتْ بِهِ كَبِيرًا — نَفْسَ هَذَا الْمَصِيرِ فَقَدْ عَذَّبَهَا فِرْعَوْنُ كَيْ تَرْتَدَّ عَنْ إِيمَانِهَا بِاللهِ ، وَلَكِنَّهَا اسْتَعْذَبَتِ الْعَذَابَ فِي سَبِيلِ إِيمَانِهَا وَارْتَضَتِ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ رَبِّهَا، فَمَاتَتْ فِي الْعَذَابِ وَهِيَ تَقُولُ: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

٣

وَامْتَدَّ عَذَابُ فِرْعَوْنَ إِلَى كُلِّ مَنْ صَدَّقَ بِمُوسَى وَآمَنَ بِرَبِّهِ ، فَمَاذَا يَا تُرَى كَانَ يُدَبِّرُ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى ، وَهُوَ الَّذِى كَانَ سَبَبًا فِى قَلَقِهِ ، وَمَصْدَرًا لِبَلَائِهِ ؟ !

كَانَ فِرْعَوْنُ قَدْ قَرَّرَ مَا قَرَّرَ حِينَ جَاءَهُ وُزَرَاؤُهُ وَمُسْتَشَارُوهُ وَكِبَارُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ يَتَمَلَّقُونَهُ بِقَوْلِهِمْ : أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ ، وَيَدْعُوَ النَّاسَ لِلِانْصِرَافِ عَنْكَ ؟ ! فَكَانَ جَوَابُهُ : سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ فَتَسَاءَلُوا : وَمَا مَصِيرُ مُوسَى أَصْلِ هٰذَا الشَّقَاءِ وَالْبَلَاءِ ؟ ! فَأَجَابَ بِلَهْجَةِ الْوَاثِقِ مِنْ نَفْسِهِ ، الْمُطْمَئِنِّ إِلَى قُدْرَتِهِ : سَأَقْتُلُ مُوسَى ! وَلْنَنْظُرْ كَيْفَ يَدْعُو رَبَّهُ لِيُنْجِيَهُ مِمَّا سَأُعِدُّ لَهُ مِنْ عَذَابٍ !

هُنَا هَبَّ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ فِرْعَوْنَ — كَانَ قَدْ صَدَّقَ بِمُوسَى وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ أَمْرَهُ ، وَآمَنَ بِاللهِ وَلٰكِنَّهُ أَخْفَى إِيمَانَهُ — هَبَّ يُدَافِعُ عَنْ مُوسَى ، وَيُجَادِلُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ،

مُسْتَنْكِرًا لِمَا قَرَّرُوهُ فِي شَأْنِهِ قَائِلًا : يَا قَوْمِ ؛ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ؟ ! وَقَدْ جَاءَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ صَادِقَاتٍ؟! أَتْرُكُوهُ ، إِنْ يَكُنْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .

يَا قَوْمِ ؛ إِنَّ لَكُمُ الْقُوَّةَ وَالْمُلْكَ الْيَوْمَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا غَدًا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ؟ ! !

وَبُهِتَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْلِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ ، يُحَبِّذُ قَتْلَ مُوسَى ، وَيَرْضَى عَنْ تَعْذِيبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ وَانْتَقَلَتْ أَنْظَارُهُمْ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى فِرْعَوْنَ تَتَسَاءَلُ : مَا رَأْيُهُ ؟! وَمَا قَوْلُهُ فِيهِ ؟! وَكَانَ جَوَابُ فِرْعَوْنَ أَنْ قَالَ بِحَزْمٍ وَغَضَبٍ : مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى! وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ!! فَانْدَفَعَ الرَّجُلُ يُوَالِي قَوْمَهُ بِنُصْحِهِ ، وَيَقُولُ : يَا قَوْمِ ؛ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَ الْأُمَمَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَقَوْمِ نُوحٍ ، وَقَوْمِ هُودٍ ، وَقَوْمِ صَالِحٍ ، وَغَيْرِهِمْ . وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ؛ لَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ إِلَى آبَائِكُمْ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا زَالُوا فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِ ، حَتَّى إِذَا مَاتَ قَالُوا : لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ

مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُكَذِّبٌ مُرْتَابٌ.

وَغَضِبَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْلِ صَاحِبِهِمْ ، وَأَسَاءُوا بِهِ الظَّنَّ ؛ فَهَبُّوا جَمِيعاً فِي وَجْهِهِ ، يَتَّهِمُونَهُ وَيُهَدِّدُونَهُ ؛ وَيَدْعُونَهُ أَنْ يَعْدِلَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَيَرْجِعَ عَنْ غَيِّهِ ، وَلَٰكِنَّهُ لَمْ يَعْبَأْ بِتَهْدِيدَاتِهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ يُلَايِنُهُمْ وَيَسْتَمِيلُهُمْ فِي رِفْقٍ وَأَنَاةٍ :

يَا قَوْمِ ، اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ؟!!

وَلَمْ يُطِقْ فِرْعَوْنُ صَبْراً عَلَى سَمَاعِ هَٰذَا الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى اتِّخَاذِ رَبٍّ لَهُمْ غَيْرِه فَصَاحَ فِيهِمْ صَيْحَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ضَاقَ صَدْرُهُ ، وَبَرِمَتْ نَفْسُهُ ، وكَادَ أَنْ تُظْلِمَ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ : يَا قَوْمِ ؛ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ، وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ؟ ! أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ! مَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ ؟ ! أَأُلْقِيَ عَلَيْهِ ذَهَبٌ أَمْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ؟ !

سَمِعَ النَّاسُ هَٰذَا الْكَلَامَ ، فَسَرَّ ضِعَافَ الْقُلُوبِ اسْتِخْفَافُ فِرْعَوْنَ بِمُوسَى ، وَضَحِكُوا لِمَا وَصَفَهُ بِهِ ، وَأَبْدَوْا تَأْيِيدَهُمْ

لِفِرْعَوْنَ فِي كُلِّ مَا يَتَّخِذُ بِشَأْنِهِ وَشَأْنِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَأَمَرَ فِرْعَوْنُ بِأَنْ يُنَفَّذَ حُكْمُهُ فِيهِمْ بِتَقْتِيلِ الْأَبْنَاءِ، وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ، وَإِرْجَاءِ الْحُكْمِ عَلَى مُوسَى وَالْمِصْرِيِّ الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَرَى مَا يَتَّخِذُ فِي شَأْنِهِمَا مِنْ عِقَابٍ.

وَسَأَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ: مَاذَا تَمَّ فِي أَمْرِ الصَّرْحِ؟! فَلَمَّا أَجَابَهُ: لَقَدْ أَوْشَكَ بِنَاؤُهُ أَنْ يَتِمَّ قَالَ: غَدًا سَأَذْهَبُ لِأَعْلُوَهُ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ، فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى.

وَفِي الْغَدِ سَارَ مَوْكِبُ فِرْعَوْنَ إِلَى حَيْثُ أُقِيمَ الصَّرْحُ، وَصَعِدَ عَلَى الصَّرْحِ الْعَالِي الضَّارِبِ فِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ، حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ قِمَّتَهُ، وَضَعَ سَهْمًا فِي قَوْسِهِ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا غَابَ عَنْهُ السَّهْمُ نَزَلَ إِلَى قَوْمِهِ بِوَجْهٍ ضَاحِكٍ يَقُولُ لَهُمْ:

لَقَدْ قَتَلْتُ رَبَّ مُوسَى، وَانْتَهَيْتُ مِنْ مُوسَى، وَخَلَصْتُ مِنْ دَعْوَاهُ!!

فَسُرَّ قَوْمُهُ لِسُرُورِهِ، وَأَظْهَرُوا لَهُ الْإِيمَانَ بِمَا ادَّعَى. وَانْصَرَفُوا جَمِيعًا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ.

٤

وَنفّذَ فِي أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ حُكْمُ فِرْعَوْنَ ، وَجَزِعَ لِذٰلِكَ الآبَاءُ ، وَوَلْوَلَتِ الأُمَّهَاتُ ، وَأَسْرَعُوا إِلَى نَبِيِّهِمْ مُوسَى يَشْكُونَ إِلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ :

أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ، وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ! !

فَقَالَ لَهُمْ : اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ ، وَاصْبِرُوا ؛ إِنَّ الأَرْضَ لِلّٰهِ ، يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ ؛ إِنِّي عُذْتُ بِاللّٰهِ مِنْ هٰؤُلَاءِ الْكُفَّارِ ، عَسَى اللّٰهُ أَنْ يُهْلِكَهُمْ ، وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ الَّتِي وُعِدْتُمْ بِهَا .

وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُمْ بُيُوتًا يُقِيمُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ ، وَيَعْبُدُونَ فِيهَا اللّٰهَ . وَاتَّجَهَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ يَدْعُوهُ إِلَى نُصْرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَخِذْلَانِ أَعْدَائِهِ :

رَبَّنَا ؛ إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ ، فَكَفَرُوا بِكَ ، وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ؛ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلَا تَهْدِهِمْ لِلإِيمَانِ ، حَتَّى تُرِيَهُمُ الْعَذَابَ الأَلِيمَ . وَأَمَّنَ هَارُونُ عَلَى دُعَاءِ أَخِيهِ مُوسَى ، وَابْتَهَلَ

إِلَى اللهِ أَنْ يُجِيبَهُمَا إِلَيْهِ .

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِمَا أَنْ : قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا !

فَأَنْذَرَ بِذٰلِكَ مُوسَى قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللهَ سَيُصِيبُهُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَضَحِكُوا مِنْهُ وَهَزِئُوا ، وَانْصَرَفُوا عَنْهُ سَاخِرِينَ وَهُمْ يَقُولُونَ :

مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ .

وَبَرَّ اللهُ بِوَعْدِهِ لِمُوسَى ، فَعَاقَبَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ بِالطُّوفَانِ الَّذِي أَغْرَقَ أَرْضَهُمْ ، وَأَتْلَفَ زَرْعَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ فِي جَدْبٍ وَقَحْطٍ ، وَأَصَابَهُمْ بِالْمَجَاعَةِ ، وَضَيَاعِ الْأَمْوَالِ . وَأَدْرَكَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ هُوَ مَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مُوسَى ، فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ :

يَا مُوسَى ؛ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا السُّوءَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ؛ فَكَشَفَ اللهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ . فَلَمَّا رَأَوْا أَرْضَهُمْ قَدْ عَادَتْ تُثْمِرُ ، وَأَمْوَالَهُمْ قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَعُودَ — تَوَلَّوْا عَنْ مُوسَى ، وَنَكَثُوا عُهُودَهُمْ ، وَضَنُّوا بِأَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْهُمْ ، فَيَفْقِدُوا فِيهِمْ عُمَّالًا وَفَعَلَةً مُسَخَّرِينَ .

فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ : فَأَكَلَ مَا نَمَا مِنْ ثَمَرِهِمْ ، وَاجْتَاحَ مَا نَبَتَ مِنْ زَرْعِهِمْ ؛ فَعَادُوا إِلَى مُوسَى يَتَوَسَّلُونَ !

دَعَا اللهَ مُوسَى أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ ، فَكَشَفَ اللهُ عَنْهُمْ مَا سَأَلَهُ مُوسَى لِأَجْلِهِمْ ؛ وَلَكِنَّهُمْ عَادُوا لِسُخْرِيَتِهِمْ ، وَلُؤْمِ طَبْعِهِمْ ، وَنَكَثُوا كُلَّ عُهُودِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا مُوسَى .

وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَذَابَهُ ! فَأَصَابَهُمْ بِالْبَلَاءِ إِثْرَ الْبَلَاءِ ، وَالْعَذَابِ تِلْوَ الْعَذَابِ . فَكَانُوا إِذَا مَا أَصَابَهُمْ غَضَبُ اللهِ ، أَسْرَعُوا إِلَى مُوسَى يَتَوَسَّلُونَ لَهُ ، وَيَسْتَنْجِدُونَ بِهِ ، فَإِذَا مَا كَشَفَ اللهُ عَنْهُمْ غَضَبَهُ ، وَأَزَاحَ عَنْهُمْ عَذَابَهُ ، عَادُوا إِلَى سَفَاهَتِهِمْ ، وَخُبْثِهِمْ ، وَعُتُوِّهِمْ ، واسْتِكْبَارِهِمْ ، وَانْصَرَفُوا عَنْ مُوسَى ضَاحِكِينَ سَاخِرِينَ !

وَأَذِنَ اللهُ لِمُوسَى أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ مِصْرَ ، وَيُنْقِذَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبُؤْسِ وَالذُّلِّ وَالْعَذَابِ .

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ قَاسَوْا فِي مِصْرَ الْأَمَرَّيْنِ ، فَسُخِّرُوا فِي الْأَعْمَالِ دُونَ أَجْرٍ وَدُونَ طَعَامٍ ، وَذَبَحَ الْمِصْرِيُّونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَاسْتَحْيَوْا نِسَاءَهُمْ ،وَعَامَلُوهُمْ مُعَامَلَةً قَاسِيَةً وَأَذَاقُوهُمْ كُلَّ أَلْوَانِ

الِاضطِهَادِ وَالْعَذَابِ . فَلَمَّا جاءَ أَمْرُ اللهِ إِلَى مُوسَى بِخُرُوجِهِمْ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي المَسِيرِ بِهِمْ — أَعْلَمَ مُوسَى شُيُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى مَا انْتَوَاهُ مِنْ صُحْبَتِهِمْ ، وَالْخُرُوجِ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى حَيْثُ الْأَرْضُ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللهُ .

وَلٰكِنَّ شُيُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْدَوْا تَخَوُّفَهُمْ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ فِي إِمْكَانِهِمُ الإِفْلَاتَ مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ . فَأَعْلَمَهُمْ مُوسَى أَنَّ اللهَ وَعَدَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ ، وَأَنَّ اللهَ مَتَى وَعَدَ كَانَ وَعْدُهُ حَقًّا ؛ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ اللهَ سَيُزَوِّدُهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ بِالْوَصَايَا الصَّالِحَةِ وَالتَّعْلِيمَاتِ الرَّاشِدَةِ ، الَّتِي تَجْعَلُهُمْ مُسْلِمِينَ طَيِّبِينَ ، يَعِيشُونَ عِيشَةً آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً .

فَاطْمَأَنَّ لِذٰلِكَ شُيُوخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَخَذُوا عَلَى عَاتِقِهِمْ تَسْهِيلَ مُهِمَّةِ مُوسَى فَأَعْلَمُوا سَائِرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْأَمْرِ ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُعِدُّوا أَنْفُسَهُمْ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَتَرَاءَى لِمُوسَى الْخُرُوجُ فِيهِ .

وَنَشِطَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ فِي تَجْهِيزِ أَنْفُسِهِمْ لِلْخُرُوجِ ، وَأَعَدُّوا مَتَاعَهُمْ لِلرَّحِيلِ ، وَتَهَيَّئُوا لِأَخْذِ مَا غَلَا ثَمَنُهُ ، وَخَفَّ حَمْلُهُ ؛ وَلٰكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُمْ مَا يَأْخُذُونَهُ ؟!

إنَّ الْمِصْرِيِّينَ كانوا يُضَيِّقُونَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، وَيَبْخَسُونَ حَقَّهُمْ فِي الْمُعَامَلَةِ فَلَيْسَ لَدَيْهِمْ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ، وَلَمْ يَدَّخِرُوا شَيْئًا ذَا قِيمَةٍ . . . وَفَكَّرَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَالإِسْرَائِيلِيَّاتُ :

إِنَّ اللهَ قَدْ طَمَسَ عَلَى أَمْوَالِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَذْهَبَ زَرْعَهُمْ وَحَرْثَهُمْ ، وَأَصَابَهُمْ بِالْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ جَزَاءً لِمَا عَامَلُوهُمْ بِهِ ، وَعِقَابًا لِمَا كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ . . . فَلَمْ يَبْقَ لِلْمِصْرِيِّينَ مِنَ الأَمْوَالِ إِلَّا مَا ادَّخَرُوهُ مِنْ جَوَاهِرَ ، وَمَا حَفِظُوهُ مِنْ حُلِيِّ النِّسَاءِ . . . ! إِذَنْ ؛ فَلْيَأْخُذْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ هٰذِهِ الْحُلِيِّ مَا يُعِينُهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ ، وَيَكُونُوا بِذٰلِكَ قَدْ نَالُوا شَيْئًا يَسِيرًا مِنْ حَقِّهِمُ الَّذِي غَبَنَهُمْ فِيهِ الْمِصْرِيُّونَ . . . ! !

وَذَهَبَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ إِلَى إِحْدَى صَاحِبَاتِهَا أَوْ جَارَاتِهَا مِنَ الْمِصْرِيَّاتِ تَطْلُبُ إِلَيْهَا أَنْ تُعِيرَهَا حِلْيَةً مِنْ حُلِيِّهَا ، تَتَحَلَّى بِهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَتَتَزَيَّنُ بِهَا بِمُنَاسَبَةِ عِيدٍ لِلإِسْرَائِيلِيِّينَ كَانَ قَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَحُلَّ ، وَأَجَابَتِ الْمِصْرِيَّاتُ طَلَبَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَأَعْطَيْنَهُنَّ مَا طَلَبْنَ .

وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا مُوسَى لِخُرُوجِ قَوْمِهِ ، خَرَجَ

بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمُدُنِ مُتَسَلِّلِينَ مُتَفَرِّقِينَ : آحَادَ وَمَثْنَى وَثُلَاثَ — إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى اتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى الِالْتِقَاءِ فِيهِ ، وَتَسَلَّلَ نَفَرٌ يَحْمِلُ تَابُوتَ يُوسُفَ الَّذِى أَخْرَجُوهُ مِنْ مَدْفَنِهِ لِيَحْمِلُوهُ مَعَهُمْ إِلَى فِلَسْطِينَ ؛ فَلَمَّا كَمُلَ عَدَدُهُمْ كِبَارًا وَصِغَارًا ، وَالْتَأَمَ شَمْلُ أَفْرَادِ كُلِّ أُسْرَةٍ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ — أَمَرَهُمْ مُوسَى بِالْمَسِيرِ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ وَعَوْنِهِ وَهُدَاهُ ، وَسَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْطَعُونَ فَيَافِيَ مِصْرَ وَصَحْرَاءَهَا : هَارُونُ عَلَى مُقَدَّمَتِهِمْ ، وَمُوسَى فِي مُؤَخَّرَتِهِمْ ، حَتَّى قَطَعُوا فِي سَيْرِهِمْ مَرْحَلَةً كَبِيرَةً قَارَبَتْهُمْ مِنْ حُدُودِ مِصْرَ . وَفَطِنَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى أَمْرِ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَأَسْرَعَ الْفِرْعَوْنِيُّونَ يَحْمِلُونَ النَّبَأَ إِلَى فِرْعَوْنَ ! !

يَا لَلْجَحِيمِ . . . ! ! لَقَدْ جُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ : فَصَاحَ ، وَصَخِبَ ، وَأَرْغَى ، وَأَزْبَدَ ، وَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ! وَسَأَلَ جُنُودَهُ : كَيْفَ يَخْرُجُ بَنُو إِسْرَائِيلَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ بِخُرُوجِهِمْ ؟ وَكَيْفَ يَحْمِلُونَ مَعَهُمْ حُلِيَّ الْمِصْرِيَّاتِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ أَيُّ أَحَدٍ ؟ !

وَأَجَابَ الْجُنُودُ : كُنَّا نَحْسَبُ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ لِلِاحْتِفَالِ بِعِيدِهِمْ ! ! وَكَانَتِ الْمِصْرِيَّاتُ يَحْسَبْنَ أَنَّ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ إِنَّمَا

أَخَذْنَ الْحُلِيَّ لِلتَّحَلِّي والزِّينَةِ ! وَنَادَى فِرْعَوْنُ أَنْ : مُرُوا الْجُنُود بِالتَّجَهُّزِ سَرِيعاً ، فَسَأَخْرُجُ عَلَى رَأْسِهِمْ فِي أَثَرِ الْهَارِبِينَ ، إِنَّهُمْ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَسَرْعَانَ مَا اسْتُدْعِيَ الْجُنُودُ مِنْ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ ! ! وَسَرْعَانَ مَا هُيِّئُوا لِلْحَرْبِ ، وَخَرَجُوا عَلَى خَيْلِهِمْ فِي صُفُوفٍ طَوِيلَةٍ نَحْوَ الشَّرْقِ ، يَقُودُهُمْ فِرْعَوْنُ .

وَبِالْقُرْبِ مِنَ الْبَحْرِ تَرَاءَى الْجَمْعَانِ : فَرَأَى فِرْعَوْنُ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ يُمْعِنُونَ فِي الْهَرَبِ ، وَيَجِدُّونَ فِي السَّيْرِ . . يَا لَلَّهِ ! وَنَظَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ خَلْفَهُمْ ، فَرَأَوْا فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ فَوَجَفَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَهَلَعَتْ أَفْئِدَتُهُمْ ، وَتَمْتَمَتْ شِفَاهُهُمْ : إِنَّا لَمُدْرَكُونَ !

فَقَالَ مُوسَى بِلَهْجَةِ الْمُطْمَئِنِّ الْوَاثِقِ : كَلَّا ! إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . عِنْدَئِذٍ أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ . فَتَقَدَّمَ مُوسَى مِنَ الْمُؤَخَّرَةِ إِلَى الْمُقَدَّمَةِ ، وَضَرَبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ !!

يَا لَلْمُعْجِزَةِ الَّتِي أَعْطَاكَهَا اللهُ يَا مُوسَى ! ! يَا لَلْعَظَمَةِ ! ! وَيَا لَلْجَلَالِ ! !

وَانْفَلَقَ الْبَحْرُ فِلْقَيْنِ ، فَكَانَ كُلُّ فِلْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، وَالْجَبَلِ الشَّامِخِ. وَأَشَارَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ أَنِ اعْبُرُوا ! فَعَبَرُوا عَلَى أَرْضٍ يَابِسَةٍ ، قَدْ جَفَّفَتِ الرِّيحُ طِينَهَا وَرَمْلَهَا .

وَبَلَغَ فِرْعَوْنُ مَكَانَ الْعُبُورِ فَوَقَفَ مَبْهُوتًا مَذْهُولاً ، لَا يَدْرِي كَيْفَ يُعَلِّلُ مَا يَرَاهُ أَمَامَهُ ! ! وَلَا يَدْرِي أَيُقْدِمُ عَلَى اجْتِيَازِ هٰذَا الْمَعْبَرِ بَيْنَ طَوْدَيِ الْبَحْرِ ، أَمْ يُحْجِمُ عَنِ الْعُبُورِ ؟ !

وَأَحَسَّ فِرْعَوْنُ أَنَّ جُنُودَهُ مِنْ حَوْلِهِ يُرَاقِبُونَ إِحْجَامَهُ ، وَيَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ ، فَعَادَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ الْمُتَكَبِّرَةُ الْمُسْتَبِدَّةُ الْبَاغِيَةُ ؛ فَأَمَرَ جُنُودَهُ أَنْ يَتْبَعُوهُ لِلَّحَاقِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَانْدَفَعَ بِفَرَسِهِ لِيَعْبُرَ الطَّرِيقَ الَّذِي انْفَرَجَ فِي الْبَحْرِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَانْدَفَعَ مِنْ وَرَائِهِ جُنُودُهُ يَتْبَعُونَهُ لِلْقَبْضِ عَلَى الْهَارِبِينَ .

وَحِينَمَا اجْتَازَ آخِرُ شَخْصٍ مِنْ قَوْمِ مُوسَى طَرِيقَ الْبَحْرِ ، وَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى الشَّاطِئِ الآخَرِ — كَانَتْ مُقَدَّمَةُ جَيْشِ فِرْعَوْنَ قَدْ صَارَتْ قَرِيبًا مِنْ آخِرِ الطَّرِيقِ ، وَمُؤَخَّرَتُهُ تَجَاوَزَتْ أَوَّلَهُ ، فَانْطَبَقَ الْمَاءُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجَيْشِهِ ! ! وَطَوَى فِي جَوْفِهِ جَيْشًا عَرَمْرَمًا . . ! ! وَطَغَى عَلَى رَجُلٍ وَأَعْوَانٍ لَهُ ، طَالَمَا طَغَوْا ،

وَبَغَوْا ، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . . !

وَمِنْ بَيْنِ لَطَمَاتِ الْأَمْوَاجِ ، وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ ، قَالَ فِرْعَوْنُ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ! !

آلْآنَ يَا فِرْعَوْنُ تُؤْمِنُ ، وَقَدْ عَصَيْتَ مِنْ قَبْلُ ، وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . . ؟ !

وَلَمْ يُصَدِّقْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ فِرْعَوْنَ قَدْ مَاتَ . . ! وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِأَنَّ الطَّاغِيَةَ الْمُسْتَبِدَّ قَدْ هَلَكَ وَذَهَبَ وَانْتَهَى أَمْرُهُ . . !

فَحَدَّقُوا بِأَنْظَارِهِمْ فِي الْمَاءِ يُحَاوِلُونَ اخْتِرَاقَ حُجُبِهِ ! وَكَشْفَ مَا يَوَدُّونَ مَعْرِفَتَهُ مِنْهُ

وَفَجْأَةً قَذَفَ لَهُمُ الْمَوْجُ الطَّاغِي بِجُثَّةِ الطَّاغِيَةِ الَّذِي غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ ! وَصَدَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ فِرْعَوْنَ قَدْ مَاتَ ، وَآمَنُوا أَنَّ الطَّاغِيَةَ الْمُسْتَبِدَ قَدْ هَلَكَ وَذَهَبَ وَانْتَهَى أَمْرُهُ

وَهَكَذَا أَنْجَاكَ اللَّهُ يَا فِرْعَوْنُ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ لَغَافِلُونَ . .

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة ، فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

٥ قروش ج.ع.م.	٥٠ فلساً فى العراق والأردن	٧٠ فرنكاً فى المغرب
٤٠ ق. ل	٥٠ فلساً فى الكويت	٠,٦ ريالا سعودياً
٥٠ ق. س	٦٠ مليماً فى تونس	١ شلنا } فى البلاد
٥٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٧٠ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٤ دولاراً } الأخرى